علمٌ وعَمل

قصة الشهيد الشيخ علي كريّم رضوان الله عليه

أمراء النصر و التحرير

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

شبكة المعارف الإسلامية

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION

علمٌ وعَمل

قصة الشهيد الشيخ علي كريّم رضوان الله عليه

الكاتب: الشيخ يوسف علي سبيتي

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام
هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠ ـ ص.ب. ٥٣/٢٤ . ٢٥/٣٢٧

- **قصة الشهيد:** الشيخ علي كريّم (رضوان اللّه عليه).
- **العنـــــوان:** علم وعمل..
- **الكـــــاتـب:** الشيخ يوسف علي سبيتي.
- من النصوص المشاركة في مسابقة «العلماء الشهداء» التي نظمتها الوحدة الثقافية المركزية في حزب اللّه ورعتها مؤسسة الشهيد في لبنان.
- **الناشـر:** جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.
- **الطبعة:** الاولى حزيران ٢٠٠٣م ـ ربيع الآخر١٤٢٤هـ.

المقدمة

أن تكون عالماً، أو أن تكون طالب علم، فهذا أمر طبيعي، يحتاج فقط إلى إرادة ورغبة وجهد ومثابرة على التعلم والتزود بالعلم.

وأما أن تكون شهيداً، فهذا أمر بيد اللَّه تعالى وإرادته. صحيح أنه يحتاج إلى جهاد النفس وتهذيبها، إلا أنه يحتاج إلى توفيق اللَّه تعالى وتسديده أيضاً فكما هم أولئك الذين جاهدوا أنفسهم وهذّبوها، إلا أنهم لم يوفقوا لنيل وسام الشهادة هذا الوسام الرفيع الذي يعلّقه اللَّه تعالى على صدر الشهيد، لا يناله إلا كل ذي حظ عظيم، هذه الشهادة التي يصفها الإمام الخميني «رضوان اللَّه عليه» بأنها إرث وصل إلينا من أهل البيت عليهم السلام، هي أمنية كل مجاهد في سبيل اللَّه تعالى.

وإذا كان شرف العلم بشرف المعلوم، فإن الشهادة شرفها قائم بذاتها وإذا كان العلم بعضه شريف وبعضه وضيع، فإن الشهادة كلها شريفة، ليس فيها شهادة وضيعة، فطوبى لمن جمع بين شرف العلم الإلهي، علم أهل البيت عليهم السلام وبين شرف الشهادة.

والشهيد الشيخ علي كريّم، قد نال هذين الوسامين الشريفين، فقد كان عالماً ارتوى من مدرسة أهل

البيت عليهم السلام، ثم نال وسام الشهادة بعد جهاد وعمل في صفوف الرعيل الأول من أبناء حزب اللَّه، كما سوف تحكي قصته.

ولست أدري، هل هي محاسن الصدف، أم هي المقادير الإلهية الخفية؟ أن الأستاذ وتلميذه قد نالا شرف هذين الوسامين الرفيعين أعني «العلم والشهادة»، وأن يكون أستاذ قد سبقهما في نيل هذين الوسامين الرفيعين، عنيت الشهيد السعيد والمجاهد المرجع السيد محمد باقر الصدر (رضوان اللَّه عليه) فقد كان أستاذاً لسنوات في مرحلة «البحث الخارج» لسيد شهداء المقاومة الإسلامية (رضوان اللَّه عليه) قبل أن يستقر به المقام في بعلبك في العام «١٩٧٨» ميلادية.

والشهيد السعيد الشيخ علي كريّم «رضوان اللَّه عليه» كان تلميذاً لسيد شهداء المقاومة الإسلامية في النجف الأشرف، والتحق به عندما أسَّس حوزة الإمام المنتظر عجل الله فرجه في بعلبك، وبقي ملازماً له منذ تأسيس «حزب اللَّه» وفي كل مراحل العمل في التنظيم ولم يفارقه إلا قبل سنة تقريباً من استشهاده.

والهدف من هذه القصة القصيرة هو القاء الضوء على جوانب من حياة الشهيد الشيخ علي كريّم، فهذا بعض حقه الواجب، والملقى على عاتقي، راجياً من المولى عزّ وجلّ أن يتقبله خالصاً لوجهه. فإن من حق

الشهداء علينا أن يتعرف عليهم الناس، حتى يعرفوا من هم الذين جاهدوا وصبروا وقدموا أنفسهم قرابين على مذبح الحرية والتحرير والعزة والكرامة لبلدنا، إذ لولا هؤلاء الشهداء لم يكن هناك تحرير ولا عزة ولا كرامة.

ولا بد من الالفات إلى أن هذه الصفحات القليلة الحاكية لسيرة حياة الشيخ الشهيد، من خلال ذكر المحطات الرئيسية، إنما جاءت مختصرة، وإلا فإن هناك تفاصيل قد لا يسع المجال لذكرها، وهناك أمور لا تسمح الظروف بالحديث عنها.

وقد اعتمدت بشكل أساسي على ذاكرتي كوني عايشت هذه المحطات والأحداث، خصوصاً أن الشيخ الشهيد لم يترك أثراً مكتوباً عن حياته الشخصية.

وفي الختام، لا بد من تقديم الشكر لسماحة الأمين العام السيد حسن نصر اللّه الذي أضاء على بعض ما كان مجهولاً من حياة الشيخ الشهيد، على الرغم من مشاكله ومشاغله.

والشكر للوحدة الثقافية المركزية ـ قسم النشاطات التي أتاحت هذه الفرصة والشكر لزوجتي التي ساعدتني على إنجاز هذا العمل إما من خلال ما تملك من معلومات أو من خلال كتابتها للمسودات.

والشكر لصديق طفولة الشيخ الشهيد الحاج عدنان شرّي الذي قدّم معلومات مهمة والشكر لسعادة النائب

الحاج محمد حسن ياغي الذي كان على صداقة عمل خاصة ومميزة مع الشهيد الشيخ علي والذي قدّم معلومات وتفصيلات مهمة عن حياة الشهيد.

الولادة والنَّشأة

شاءت المقادير الإلهية أن يشهد حي النبعة، في بيروت، ولادة الشهيد ونشأته وأن تحتضنه عائلة مستضعفة كادحة، في بيت متواضع من بيوت ذلك الحي وذلك في شهر آب من العام ١٩٥٥ ميلادية وكانت والدته وهي حامل به ترى في عالم الرؤيا أنها تحمل بين يديها ولداً ذكراً، وهي تسير على سطح ماء البحر.

الأب «محمود» والأم «محاسن» كانا قد هاجرا إلى ذلك الحي كالكثير من أبناء جبل عامل، بحثاً عن لقمة العيش، ليعيشا بعزة وكرامة، وسوف يكونان عائلة مؤلفة من تسعة أولاد خمسة ذكور وأربع إناث، وسوف يكون الشهيد هو الابن الأكبر لهذه العائلة، وتشاء المقادير الإلهية أيضاً أن يبقى وحيد أبويه لمدة أربع سنوات ثم يرزقان بالأبناء.

ترعرع الشهيد وسط هذه العائلة، وتفتحت عيناه على أب كادح يعمل ساعات طويلة من نهاره وأحياناً من ليله، في دكانه الصغيرة، لتحصل هذه العائلة على لقمة عيش كريمة مغمسة بالعرق والتعب، وأمٍّ ينصّبُ كل اهتمامها على تربية هذه العائلة ككل الأمهات في ذلك الوقت وقد تساعد زوجها في بعض أعماله التي كان يقوم بها، ولتخفف عن كاهله بعض التعب الذي كان يلحق به، فكانت أماً كادحة.

تميّز الشهيد، منذ صغره، بذكاء حاد جعله يفوق أقرانه وينال الشهادة الابتدائية التي كانت تسمَّى «السرتفيكا»، وله من العمر تسع سنوات، الأمر الذي أوجد حالة من الفرح عند الأب، الذي كان يشجعه دائماً على العلم والتعلم، وعندما نال الشهيد تلك الشهادة لم يجد الأب للتعبير عن فرحه أفضل من توزيع الحلوى، وإخبار جميع الأقارب والمعارف بهذا النجاح الأول لولده، وكأنه كان يرى في ولده نفسه، فهو الذي يتعلم، وهو الذي ينجح وإذا كان الأب قد حرمته الأقدار من هذا الفرح ومن هذا النجاح، لأنه نشأ يتيماً، وتحمّل مسؤولية أمه وإخوته الصغار بعد وفاة والده المبكرة، فلم تسنح له الفرصة للتعلم إلا قليلاً بما يمكنه من القراءة والكتابة فقط، فقد رأى في ولده تعويضاً عما كان قد فاته.

وبالرغم من ظروف العيش القاسية التي كانت تعيشها العائلة، والتي قد تتطلب من الشهيد مساعدة والده في العمل، في الدكان الذي كان قد افتتحه في إحدى المدارس في النبعة إلا أن ذلك كله لم يشغله عن الاستعداد لنيل الشهادة الثانية «البروفيه» والتي نالها فعلاً وله من العمر حوالي الثلاثة عشر عاماً، ولم يكن طموحه ليقف عند هذا الحد فلا بد من نيل الشهادة الثالثة «البكالوريا».

إلا أن ظروف الضائقة المعيشية للعائلة، كانت تقف حائلاً أمام هذا الطموح، فإن تكاليف هذه الشهادة تفوق قدرة الأب، وهو الذي يئن تحت وطأة العائلة التي تحتاج إلى نفقات أيضاً، وما يجنيه الأب لا يكفي للأمرين معاً.

إلا أن هذا الحال لم تكن لتثني الشهيد عن طموحه، فكان القرار، ومع أنه كان صعباً، فهو يضيف إلى أعباء الشهيد أعباءً إضافية، ومع ذلك لا بد منه، ومتى كان الإنسان الكادح الطموح الذي يريد نيل المعارف والمعالي تقف أمامه صعاب، كان القرار أن يعمل في النهار ويدرس في الليل، فإن المدارس الليلية كانت متوافرة في ذلك الزمن، فكان يعمل في مكتب أحد المحامين المعروفين في بيروت فهو من جهة يؤمّن نفقة دراسته الثانوية، ومن جهة ثانية يخفّف عن الأب أعباء نفقات الدراسة وكان يدرس في الليل حتى يستطيع أن يحقق طموحه وأمنية أبيه في أن يراه صاحب علم ومعرفة، وهكذا استطاع أن ينال شهادة «البكالوريا».

وتشاء الأقدار الإلهية الخفية، أن يكون المنزل الذي ترعرع فيه الشهيد قريباً من المسجد الوحيد في ذلك الحي، وفي تلك المنطقة أيضاً، والذي كان يعرف بـ«حسينية أسرة التآخي».

وكان لهذا الأمر الدور الواضح في صقل شخصيته الإيمانية، وتعرفه على دينه وإسلامه من خلال تردّده

المستمر على المسجد ومشاركته في صلاة الجماعة اليومية والدروس الدينية.

وكانت قد تشكلت بموازاة «أسرة التآخي» ما سمي بـ«لجنة أصدقاء المسجد» وإذا كانت الأولى قد تشكلت لتعنى بكبار السن والرجال على المستويين الثقافي والاجتماعي، فإن الثانية كانت مهمتها أن تعنى بالفتيان، ممن هم في سن الثانية عشرة إلى الثامنة عشرة، ومن خلال هذه اللجنة وكذلك تردده على المسجد تعرف على ثلة مؤمنة، سوف يتحول أفرادها إلى كوادر في العمل الإسلامي الجهادي في مختلف المراحل، من بينهم بشكل خاص سماحة الأمين العام السيد حسن نصر اللّه.

هذا كله في وقت كان من النادر أن تجد فتى في مقتبل العمر تكون له هذه الاهتمامات؛ حيث لم يكن الجو العام إيمانياً كما هي الحال الآن.

ولم تكن علاقتهم بالمسجد علاقة صلاة ودروس فقط، بل كان المسجد منطلقاً لنشاطات اجتماعية أخرى، فرضتها ظروف الحرب الأهلية، التي كان لحي النبعة النصيب الأوفر من ظلم المعتدين فيها، حيث كان الحي يتعرض لقصف مدفعي مستمر، وقنص على طرقاته، وكان الحصار مضروباً بوصفه وسيلة ضغط على سكانه للرحيل.

إلا أن إصرار الأهالي على البقاء والصمود، ساعد على بقاء الحي صامداً بعض الوقت وفي هذه الأثناء كان الشهيد يشارك الأهالي وجيرانه هذه المأساة، من خلال المساعدة في مداواة الجرحى وتغسيل الشهداء الذين كانوا يسقطون جراء هذا الحصار وهذا القصف. وقد نجا الشهيد مرات عدة من هذا القصف الذي كان يتعرض له حي النبعة. حيث كانوا قد اتخذوا ملجأ الحسينية مكاناً لهذه النشاطات، وكان يشارك إذا اقتضى الأمر في حراسة الحي ليلاً، خوفاً من هجوم عصابات المعتدين الظالمين.

وساءت الأحوال كثيراً، فلم يعد بالإمكان البقاء أكثر، فقرر الأهالي الرحيل حفاظاً على أرواحهم وأطفالهم ونسائهم، في ما عرف في ما بعد بمأساة «سقوط النبعة».

ورحل الشهيد مع من رحل تاركاً وراءه ذكريات لا تمحى من طفولة طموحة لم تثنها الصعوبات من متابعة مسيرة العلم، ومراهقة متزنة لا تعرف الطيش ولا النزق، بل تعرف الإيمان، هذه المعرفة التي سوف ترافقه في جميع مراحل حياته...

الثلة المؤمنة التي أصبح جزءاً منها بعد أن تعرف عليها من خلال المسجد ولجنة أصدقاء المسجد، كان هو الأكبر سناً بين أفرادها، لكن هذا لم يشكل أي حاجز أو عائق أمام العلاقة المميزة معهم، فلم يكن مغروراً، ولم

يكن مستبداً، فلم يكن ليفرض رأيه على الآخرين، بل كان يعتبر أن رأيه كأي رأي آخر يحتمل الخطأ والصواب، ولا مانع لديه من استحسان رأي يعارض رأيه إذا كان أفضل من رأيه بل لا يقف عند حد الاستحسان، بل يتجاوزه لحد تبنيه والدفاع عنه.

الصفة الأساسية التي يجمع عارفوه على اتصافه بها هي الوفاء، لقد كان وفياً لمن يصادقه، ولذا فإن من تعرف عليهم في صغره، بقي على علاقة معهم، وعلاقة مميزة، في كل مراحل حياته، وحتى من تعرف عليهم فيما بعد بقي على هذه العلاقة ولم يقطعها، فلم يعرف عنه أنه عادى أحداً، أو قاطع أحداً ممن أقام معهم علاقة وصداقة.

رحلة العلم

لم يكن طموح الفتى ليقف بسبب الظروف القاهرة، التي حالت دون اكمال مسيرته العلمية: المدرسية والحوزوية، حيث كان قد وصل في الأولى إلى نيل شهادة البكالوريا، وفي الثانية كان لا يزال في بدايتها، من خلال ما عُرف «بالمعهد الشرعي».

إحدى السمات الأساسية في شخصية هذا الفتى، أنه عندما تعجبه فكرة ما وكان لهذه الفكرة جانب عملي، فإنه لا يتردد لحظة واحدة في تنفيذ هذه الفكرة، فلم يكن في شخصيته ما يسمى بالتردد في اتخاذ القرار،

ولا يعني هذا أنه كان متهوراً، بل كان عقلانياً، وقد يفاجأ المحيطون به بما يتخذه من قرارات، خاصة تلك التي لها علاقة بحياته الخاصة.

عندما اتخذ قراره بالسير في طريق طلب العلم، عندما كان ما يزال في حي النبعة، من خلال انتسابه للمعهد الشرعي، كان قراره هذا مفاجئاً لأصحابه وللعائلة.

أما الأصحاب فلأنهم كانوا مسبوقين بأنه كان يعمل في مكتب أحد المحامين، وكان قريب العهد في هذه الوظيفة، خصوصاً وأن هذه الوظيفة كان أحد أهم أسبابها أن يرفع عن كاهل والده بعضاً من العبء، وهو - أي الوالد - كانت أوضاعه المادية متواضعة، فإذا عمل هو - أي الولد - فإنه يستطيع على الأقل أن يؤمّن مصروفه الخاص.

عندما سأله أحد أصحابه عمّ إذا كان مقتنعاً بهذا القرار؟ فلم يتردد عن قول «نعم» وأضاف «إني أشعر في سلوكي هذا الطريق بالأمان»؟! ارتسمت على محيا هذا السائل علامات التعجب والتساؤل، ولم تكن المدركات العقلية عند صاحبه السائل لتستطيع فهم هذا الاحساس، وهذا الشعور، الأمان ممّ؟ ما الذي كان يخافه هذا الفتى الذي لا يزال تحت سن العشرين؟ ولا يعني هذا أنه أراد الهروب من أمرٍ ما؟ فتى في مثل هذا العمر

ما يزال المستقبل أمامه، والوظيفة مهما كانت متواضعة فإنها أمان من مكاره الدهر، إن هذا الفتى ما يزال يواصل تعليمه إذن لا خوف عليه، ولم يكن الأمر إذن مجرد خوف لأمر دنيوي، بل هو أمر آخر لم يفصح عنه هذا الفتى، وبقي سراً لا يعلم به أحد.

أما الوالدان فكانت المفاجأة بالنسبة إليهما، أنه لم يكن أحد من العائلة سابقاً قد دخل أو سلك هذا الطريق، فلا يعلمون من أين جاءته هذه الفكرة، ثم إنه كان بمثابة المدّخر لهم لمكاره الدنيا عندما يصبحون في مرحلة العجز والكبر، فهما في هذه المرحلة يحتاجان إلى المعين، ولم يكن غيره ليتولى هذه المهمة، ليس لأنه وحيدهما بل لأنهما لمسا منه منذ صغره عطفه وحنانه عليهما.

وها هو قد وصل في مسيرة العلم إلى منتصف الطرق، وما عليه إلا أن يكمل ليبدأ حياة جديدة يستطيع من خلالها معونتهم، وها هو قد بدأ مسيرة العمل من خلال هذه الوظيفة.

إما أن يبدأ بطريق معاكس تماماً لما رسمه الوالد وخطط له، ونفذه الولد وإما أن يكون طالب علم، فهذا معناه هدم لما بناه الوالد بكده وعرق جبينه، ومع ذلك لم يعمل الوالد على عرقلة ما اختاره الولد لنفسه.

بل إن هذا الأمر ومع الأيام وعندما أصبح هذا الولد

شيخاً يلبس العمّة البيضاء يرفل في ثياب العلم والإيمان، كان مبعث فخرهم واعتزازهم، خصوصاً عندما كانت تضاف إلى كنيتهما كلمة «الشيخ» فكانت الأم تخاطب من أقرانها من الأمهات والجارات «أم علي الشيخ» وكان الوالد يخاطب من أقرانه والجيران «أبو علي الشيخ». ومع الأيام عندما رأى الوالد أن ولده لا يملك من حطام الدنيا شيئاً لا بيت ولا أرض، وعلم أنه لن يستطيع أن يشتري لنفسه أرضاً أو بيتاً، فإن طلب العلم ليس من أهدافه جمع المال، ولم يكن يملك الوالد إلا أرضاً صغيرة، فلم يرَ بداً من اعطائها لولده لتكون المعين له على مكاره الدهر، هذه الأرض المزروعة بالزيتون التي كان الوالد يؤمّن منها «مونة البيت» من الزيت والزيتون، مع ذلك أعطاها لولده بعد أن رأى أنه قد لا يستطيع أن يؤمن من هذه «المونة» من مكان آخر، وأعطاه إياها ليس على حسب العادة لما بعد الموت بل أعطاه إياها ليستفيد منها في حال حياته.

ليس هذا فحسب، فإن الوالد كان يهوى صيد السمك، ففي أوقات فراغه كان يذهب إلى البحر القريب من منزله في منطقة «وادي أبو جميل» لصيد السمك، وعندما يعود إلى منزله محمّلاً بما اصطاده من السمك، وبعد أن يبقي شيئاً منهم لعائلته، يخبىء للشيخ الشهيد حصته من هذا السمك في «الثلاجة» إلى حين نزوله إلى

بيروت حيث كان ما زال يقطن في بعلبك ويزور أهله بين الفينة والفينة وعندما تكون كمية السمك قليلة، لا تكفي للعائلة كلها، فإنه يبقي هذه الكمية بأجمعها إلى حين نزول الشيخ الشهيد، ليفرح الوالد بأنه قدم ما يستطيعه لولده وليفرح الولد بأن أباه يهتم لأمره وأنه يكنّ له هذا الحب وهذا التقدير ما أجمل هذا الشعور المتبادل بين الوالد وولده، ما أجمل هذا الاحساس المتبادل بين الوالد وولده، إنه شعور واحساس لا يفهم معناه إلا من كان والداً وولداً، إنه احساس لا يفهم معناه إلا من عاش هذا الاحساس وهذا الشعور.

كانت النجف الأشرف، في تلك المرحلة، مدينة علم أمير المؤمنين عليه السلام ومحط رحال عشاق العلم والمعرفة، قبلة العلماء وغاية آمال المتعلمين، فلماذا لا يحط الفتى رحاله هناك، ويتوجه بروحه وجسده إلى تلك القبلة؟

فكان القرار بالذهاب إلى النجف ما دام قد بدأ مسيرته العلمية، فلا مانع من استمرارها، ولن يحول دون ذلك أي حائل، فالظروف القاهرة والصعبة، التي عاشها بالانفصال عن الحي والمنطقة اللتين عاش فيهما، والانقطاع عن مسيرة العلم التي كان قد بدأها بسبب ظروف الحرب، هذه الظروف ليست سبباً ليستسلم المرء للاحباط واليأس والقنوط، فيجب أن ينفض عن كاهله غبار هذه الظروف، ويكمل ما كان قد بدأه.

كان القرار بالذهاب إلى النجف الأشرف، قد جاء بعد أن استقر في بلدته لفترة وجيزة ولا بد أنه قد سمع بالنجف إما عندما كان في المعهد الشرعي من خلال أساتذته، أو من خلال ملازمته للمقدس السيد عبد المحسن فضل اللَّه ﷺ، وعلم أن من يريد متابعة طريق طلب العلم فليس أمامه إلا النجف الأشرف، خصوصاً أن هناك مجموعة من الأشخاص قررت الذهاب إلى العراق، بعضهم بهدف الزيارة، والبعض الآخر بهدف الدراسة في النجف الأشرف، هنا تشجع للذهاب إلى النجف، إذ أن هناك فرق بين أن يسافر الإنسان وحيداً، خصوصاً في ظروف لبنان في ذلك الوقت. إننا هنا نتحدث عن فترة الحرب اللبنانية في سنتيها الأوليين. أو يسافر مع مجموعة فيشعر بالأمن والأمان أكثر، والذي ساعده بشكل مباشر في تأمين مستلزمات هذا السفر هو المقدس السيد عبد المحسن، فإن الشهيد لم يكن وضعه المادي يمكّنه من السفر فقد كان يعاني من قلة ذات اليد.

في الفترة التي قضاها في قريته «خربة سلم» كان منقطعاً عن أهله ووالديه الذين آثروا البقاء في حي النبعة ولم يخرجوا منه إلا بعد سقوطه في أيدي الميليشيات، وعندما قرر الذهاب إلى النجف، لم تكن هناك طريقة لاعلامهم، إذ كان لا بدّ من إعلامهم بهذا

القرار، الذي حدّد فيه خياره في هذه الحياة، لذلك سافر من دون إبلاغهم، تاركاً لهم هذا الخبر عند بعض الأقارب أو الأصحاب.

وعندما علموا بعد ذلك بخبر توجهه إلى النجف، لم يبدُ عليهم أي انزعاج سوى أنهم لم يستطيعوا توديعه، وأنه أصبح بعيداً عنهم، ولا يعلم إلا اللّه تعالى متى يرونه ثانية، ويبدو من رسالة كان قد بعثها إليهم عندما كان في النجف أنه كان قلقاً عليهم وأيضاً في شوق إليهم يقول في الرسالة «أين أستطيع أن أجد تعابير، في هذه اللغة العربية، تعبر عما يختلج في صدري من شوق إلى رؤية صوركم الغالية على قلبي... وكم أتمنى أن تكونوا بقربي، أتألم لما تتألمون منه وأفرح لما تفرحون منه... أنتم تفكيري الدائم، إني أفكر بكم ـ واللّه يشهد ـ أكثر مما أفكر بنفسي، وأتساءل عن أحوالكم وأوضاعكم... أخيراً، أتمنى من اللّه أن تكونوا سعداء جميعكم بعد هدوء الأحوال في لبناننا الحبيب».

يمكننا أن نتصور الفرحة التي غمرت قلبه، وهو يرى القبة الذهبية لمرقد أمير المؤمنين باب مدينة العلم عليه آلاف التحية والسلام.

فرحة اللقاء بالمحبوب والمعشوق، فرحة من يرى أن آماله وطموحاته بدأت تتحقق، ليكون جندياً من جنود الإسلام الذين يدافعون عنه بالكلمة والموقف والجهاد.

لقد كان الشيخ الشهيد أول إنسان من عائلته تحط قدماه في النجف الأشرف، ليكون طالب علم، فلم يكن أحد من هذه العائلة طالب علم أو عالماً، فلم يكن من عائلة علمية، ليكون هذا الأمر عادياً بالنسبة إليه، وهذه الميزة الأساسية في الشيخ الشهيد فهو اندفع إلى هذا الأمر إندفاعاً ذاتياً، شيء في داخله دفعه إلى هذا وليس أي شيء آخر.

وفي النجف، أيضاً، لم يكن في يده توصية من أحد لأحد كما هو شأن بعض الطلبة في هذا الأمر، لكن الإنسان المؤمن مسدَّد، فهو دائماً تحت رعاية ربٍ رؤوف رحيم، فتشاء المقادير الإلهية أن يلتقي بمن سوف يتحوَّل إلى أستاذه وقائده ومرشده وزميله في الشهادة، اللَّه وحده يعلم كيف تلتقي أرواح المؤمنين في الدنيا قبل لقائها في الآخرة؟ اللَّه وحده يعلم كيف يكون لقاء الدنيا مقدمة للقاء الآخرة؟

كان اللقاء مع السيد عباس سيتحول إلى علاقة أستاذ بتلميذه، إنه لطف إلهي أن يجد المرء في غربته من يمسك بيده ليدّله على الطريق الصحيح، فلا يضيع ولايتيه في متاهات، هنا وهناك، فتتحول غربته إلى نقمة، مجرد قضاء للوقت بما لا ينفع.

ولم يكونا قبل لقائهما في النجف الأشرف قد التقيا في لبنان، حيث أن السيد الشهيد كان قد أصبح في

النجف الأشرف والشيخ الشهيد ما زال في لبنان، ثم أن الشيخ الشهيد كان يقضي أكثر أيامه في منطقة النبعة، والسيد الشهيد كان في منطقة الشياح، ولم يحصل أي أمر يجمعهما.

وهكذا، فإن المدّة التي قضاها في النجف، والتي امتدت ما بين أواخر العام ١٩٧٦ وأوائل العام ١٩٧٨، قضاها تلميذاً للسيد عباس «رحمه اللّه».

وأغلب الظن أن الذي بادر إلى حصول هذا اللقاء بينهما، هو سماحة السيد الشهيد، لما عرف عنه أنه كان يبادر - بمجرد سماعه بوصول طالب جديد إلى النجف الأشرف - إلى لقائه والتعرف عليه.

وكان الشيخ الشهيد عندما وصل إلى النجف قد نزل في المدرسة اللبنانية كما هي العادة لكل طالب علم يذهب إلى النجف، ثم انتقل إلى المدرسة الأزرية.

وكان منزل السيد الشهيد قريباً من المدرسة الأزرية، وهكذا نشأت العلاقة وتطورت واستمرت.

واللافت في الأمر أن السبب المباشر في تعرف سماحة الأمين العام السيد حسن نصر اللّه إلى الشهيد السيد عباس، كان الشهيد الشيخ علي، حيث أن السيد نصر اللّه كان يحمل في جعبته ثلاث رسائل، من بينها رسالة إلى المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر، ولم يكن يعرف كيف يوصل هذه الرسائل إلى أصحابها، وكان على

علم مسبق بوصول الشيخ الشهيد إلى النجف الأشرف، فسأل عنه في المدرسة اللبنانية، التي كان قد وصلها في ساعة متأخرة في إحدى الليالي، فقيل له إنه انتقل إلى المدرسة الأزرية، فلا بد من الانتظار حتى الصباح، وفي الصباح ذهب إلى المدرسة الأزرية، فسأل عن الشيخ الشهيد، وكان اللقاء مؤثراً، تخلله عناق، بعد طول فراق، ثم سأل سماحة السيد نصر اللَّه عن كيفية إيصال هذه الرسائل لأصحابها؟ فقال له الشيخ: إن هناك شخص يمكنه أن يوصلك إلى مبتغاك، إنه سماحة السيد عباس الموسوي، لكن عليك أن تنتظر حتى ما قبل الغروب بساعة، لأن من عادة السيد أن ينزل إلى مرقد أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الوقت المحدد سيراً على الأقدام، فنزل معه وتعرض عليه طلبك.

كان لهذا الأمر وقعه الخاص والمؤثر في قلب سماحة السيد نصر اللَّه، وشكر للشيخ مبادرته هذه، وانتظر الموعد المحدد، وهكذا نشأت العلاقة ومن ثم تطورت واستمرت.

وإذا كانت النجف مدينة العلم والعلماء، وأينما توجه المرء بنظره فإنه يقع على طالب علم، أو عالم، أو مرجع تقليد، فإن هناك شخصاً واحداً ووحيداً لا بدّ من لقائه والتعرف إليه، بعد أن ذاع صيته ووصلت كتبه إلى لبنان، إنه المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر، ولن تحول دون لقائه المخابرات التي تضع بيته تحت المراقبة بشكل

دائم، ولن تحول دون لقائه محاولات كثيرة لمنع الناس من اللقاء به وزيارته.

وهكذا فإن الشيخ الشهيد، وإن لم يحضر درس السيد الشهيد الصدر، حيث أن مرحلته العلمية، هي «المقدمات»، لا تسمح له بحضور درس السيد الشهيد، وهو «بحث الخارج»، إلا أنه كان يُصرّ مع إخوانه على زيارة السيد الشهيد أسبوعياً وتحديداً يوم الخميس غير آبه بما يمكن أن يترتب على هذه الزيارات من تبعاتٍ سلبية لا تحمد عقباها.

وما دام المرء مقيماً في النجف الأشرف، وفي جوار أمير المؤمنين عليه السلام، فمن الطبيعي أن تكون زيارة الأمير عليه السلام تتم في كلِ يومٍ مراتٍ كثيرة، بل إن بعض النشاط العلمي يحصل في مرقده عليه السلام.

أمّا زيارة الإمام الحسين عليه السلام فإن العادة كانت قائمة أن تتم كل ليلة جمعة من كل أسبوع، وكانت العادة قائمة، أيضاً، يوم العاشر من المحرم من كل عام، تكون فيه الزيارة سيراً على الأقدام وكان يطلق عليها تسمية «پيادة» حيث يجتمع الشيعة والموالون وعشاق أهل البيت في النجف من كل مناطق العراق، ثم يتوجهون سيراً على الأقدام إلى كربلاء. وفي العام الذي وصل فيه الشيخ الشهيد إلى النجف كان موعد القيام بهذه الزيارة المسيرة، فلم يجد بدّاً من المشاركة فيها، فهي فرصةٌ لكي

يُظهر حبّه وموالاتهُ لأهل البيت عموماً وللإمام الحسين عليه السلام خصوصاً.

وتشاء المقادير الإلهية أن تتعرض المسيرة في ذلك العام إلى قمع من النظام الحاكم، وتحوّل القمع إلى مواجهة[1] بين المشاركين في هذه المسيرة العزل إلا من أيديهم وأجسادهم والسلطة الحاكمة المدججة بمختلف أنواع الأسلحة والدبابات، ولم يتوان النظام عن استعمالها واستعمال الطائرات العسكرية لمواجهة هذه الجموع الموالية والمليئة قلوبها بحب أبي عبد اللَّه الحسين عليه السلام إمام الجهاد والشهادة.

رحلة الجهاد

إذا كانت الدنيا دار بالبلاء محفوفة، وإذا كانت الدنيا دار امتحان للمؤمن، وإذا كان المؤمن لن يجد السعادة الحقيقية في هذه الدنيا، فإن الشيخ الشهيد عانى هذا كله، فمرة أخرى تعمل الظروف القاهرة بعكس آماله وطموحاته، والسعادة والراحة اللتان شعر بهما، وهو يرى نفسه يضع قدمه في طريق العلم والمعرفة، لم تستمرا طويلاً، فإن النظام الحاكم في العراق حينذاك كان قد بدأ خطة لمحاصرة الحوزة العلمية في النجف الأشرف من خلال تفريغها من أبنائها، حتى لا تشكل خطراً في المستقبل على وجوده، ولأن إعلان هذا الهدف لا يخدم

هذه الخطة. فالمطلوب العمل بطريقة هادئة وخبيثة فكان البدء بإبعاد الطلاب اللبنانيين، وخصوصاً الذين تحوم حولهم الشبهات في نظر النظام الحاكم، وبالأخص الطلبة الجدد والذين بدأوا بالتوافد في آونة مليئة بالتغيرات على مستوى الساحة اللبنانية مع سطوع نجم الإمام المغيب السيد موسى الصدر، والتهم حاضرة لا تحتاج إلى كثير تفكير، محاولات لقلب النظام الحاكم، الإخلال بالأمن القومي، العمالة للأجنبي، وجميعها تهم واهية وكاذبة.

كان النظام العراقي قد قرر إبعاد الطلبة اللبنانيين، بحسب سنوات دخولهم إلى العراق، ثم كان تركيزه على الطلبة الموجودين في المدارس، أي العزَّاب، ولما كان الشيخ الشهيد متزوجاً فإن دوره في الاعتقال والابعاد لم يكن قد أتى بعد، مع أنه كان قد دخل إلى العراق في العام ١٩٧٦م وهي السنة التي كان النظام يعتقل الطلبة على أساسها.

ثم أن الشيخ الشهيد قد سمع وهو في مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن النظام يقوم بحملة لاعتقال الطلاب الذين دخلوا العراق في العام ١٩٧٦، فكان كل تفكيره قد انصب على كيفية ابلاغهم بهذا الأمر ليتواروا عن الأنظار، ولم يكن يعلم أن رجال النظام قد أتوا إلى المدرسة الأزرية حيث كانوا يسكنون، ليقوموا باعتقالهم، فلم يجدوا أحداً فذهبوا على أن يأتوا ثانية

وفي غضون ذلك كان الشيخ الشهيد قد اتخذ قراره بأن يذهب بنفسه لابلاغهم، ولم يكن يعلم بأن الأخوة زملاءه، ومن بينهم سماحة السيد حسن نصر اللَّه، كانوا قد أبلغوا، وهم في منزل أحد الأخوة بأن لا يذهبوا إلى المدرسة الأزرية حتى لا يتم اعتقالهم، وهم أيضاً ذهبوا إلى منزله لإبلاغه بهذا الأمر ليكون بعيداً عن الأنظار.

وصل الشيخ الشهيد إلى المدرسة لابلاغهم وتحذيرهم، فلم يجد أحداً، وما هي إلا دقائق حتى دخل رجال النظام. ووجدوا الشيخ الشهيد، فطلبوا أوراقه الثبوتية فوجدوا أنه قد دخل إلى العراق في العام ١٩٧٦م فتم اعتقاله على هذا الأساس.

عندما كان الشيخ الشهيد في طريقة إلى المدرسة لابلاغ إخوانه بما آلت إليه الأمور، شعر بأن رجال الأمن يلاحقونه، أسرع الخطى ليبتعد عنهم وحاول تضليلهم ثم وصل إلى مفترق طرق، حار في أمره، بأي اتجاه يسير؟ استخار اللَّه أن يسير في أحد الاتجاهات، فكانت الاستخارة نهياً، ثم استخار ليسير في اتجاه آخر، فكانت الاستخارة نهياً أيضاً، وهكذا كلما استخار اللَّه تعالى ليسير في اتجاه ما، تكون الاستخارة نهياً، ثم استخار أن يبقى في مكانه فكانت الاستخارة نهياً أيضاً، وهكذا ازدادت حيرته ولا يدري ماذا يفعل؟ فقرر أخيراً الذهاب إلى المدرسة.

وصل الشيخ الشهيد إلى المدرسة لإبلاغ زملائه وتحذيرهم، فلم يجد أحداً، وما هي إلا دقائق حتى دخل رجال الأمن. ووجدوا الشيخ الشهيد، فطلبوا أوراقه الثبوتية فوجدوا أنه قد دخل إلى العراق في العام ١٩٧٦ فتم اعتقاله على هذا الأساس.

وأما الأخوة زملاؤه، فعندما وصلوا إلى منزله، فوجئت زوجته بهم، فسألتهم إن كانوا قد رأوه، فنفوا ذلك، فأخبرتهم بأنه ذهب إليهم لتحذيرهم، فأخبروها بأنهم يعلمون الأمر فلذلك جاءوا، فطلبت منهم الدخول، فدخلوا وانتظروا حتى الصباح، ولم يأت الشيخ وعلموا بعد ذلك أنه قد تم اعتقاله. كان الشيخ الشهيد، قبل أشهر من اعتقاله وطرده من العراق، قد جاء إلى لبنان ليتزوج، وكان أهله قد عادوا إلى حي النبعة، بعد استقرار الأوضاع الأمنية في لبنان، صادف أن جاءت فتاة من قريته برفقة أمها لزيارة أهله، فرأى هذه الفتاة، أُعجب بها، سأل عنها. ثم قرر الزواج بها، وهكذا بعد عقد قرانه عليها جاء بها إلى العراق، وسوف تكون هذه الفتاة - الزوجة، رفيقة دربه في المعاناة، وعونه في الجهاد، وأم أولاده الخمسة ومربيتهم الوحيدة بعد استشهاده، فقد حرموا أخيراً من عطف الأب وحنانه الذي لا يعوضه شيء.

وهكذا قضى الشيخ الشهيد، في سجن النظام

الحاكم، حوالي الشهرين، ثم عندما أرادوا إبعاده بدأت رحلة عذاب فتارة يأخذونه إلى الحدود مع سوريا فينتظر الأوامر بالخروج، ويطول الانتظار. ثم يعودون به إلى السجن، ثم يذهبون به إلى الحدود مع الأردن، وأيضاً يطول الانتظار. ثم يعودون به إلى السجن، وهكذا تستمر المعاناة مدّة طويلة، وأخيراً يفرج عنه ليعود إلى لبنان في أوائل العام ١٩٧٨ ميلادية.

ولأن المؤمن لا يعرف الوهن ولا الضعف أمام قهر الأيام وظلمها، ولأن الشهيد الشيخ علي قد حدد خياره منذ البداية، فلن تثنيه هذه الأمور التي تعد في قاموس المؤمن أمراً طبيعياً وعادياً، بل إن غير الطبيعي وغير العادي أن لا يتعرض المؤمن في هذه الدنيا إلى البلاد والامتحان، فلا بد من متابعة السير وفاقاً لما كان قد رسمه لنفسه، لكن كيف؟ كان الشهيد السيد عباس الموسوي، قد سبق الشيخ الشهيد بالعودة إلى لبنان. وبعد أن اجتمع شمل طلاب السيد الشهيد، وعادوا جميعاً إلى وطنهم بعد طول معاناة، كان القرار بإنشاء حوزة علمية في بعلبك، وكان قرار الشيخ الشهيد الالتحاق بهذه الحوزة بداية لمرحلة جديدة من حياة الشيخ الشهيد، حياة يمكن القول عنها إنها تمزج بين العلم والعمل والجهاد، الجهاد بالكلمة والموقف، الجهاد بتبليغ الإسلام وأحكامه.

بعد حوالى العام من التحاق الشهيد بالحوزة، وتحديداً في العام ١٩٧٩م، بدأت بشائر انتصار الثورة الإسلامية في إيران تلوح في الأفق، مما أوجد في القلوب والنفوس الباحثة عن الحق والحقيقة بريقاً من الأمل في عودة الإسلام ليأخذ مكانه الطبيعي على هذه الأرض بعد طول تغييب.

ولم يكن الشيخ الشهيد بعيداً عن التفاعل بهذا الحدث المهم. فكان يشترك في المسيرات كانت تخرج تعبيراً عن فرح المؤمنين بهذا الانتصار.

وفي العام ١٩٨٢، احتل العدو الصهيوني مناطق واسعة من الوطن الحبيب لبنان، ووصل إلى العاصمة بيروت، وانقلبت الأمور رأساً على عقب، وسيطر اليأس والإحباط على اللبنانيين ما عدا ثلة مؤمنة كان الشيخ الشهيد واحداً منها، رأت أن لحظة العمل والجهاد قد حانت، ولا يجب الاستسلام لهذا العدو الغاشم. وكانت الجمهورية الإسلامية الفتية، مع انشغالها بالحرب المفروضة، تصرّ على مدّ يد العون، فأرسلت مجموعات من الحرس الثوري إلى لبنان استقرت في منطقة البقاع، وبدأت بتدريب من يريد على استعمال السلاح وكيفية محاربة هذا العدو، فالتحق الشهيد بأول دورة تدريبية تقام في ذلك الوقت، لتشكل هذه الدورة نواة العمل المقاوم ضد إسرائيل، وكان الشيخ الشهيد عندما

وفدت طلائع الحرس الثوري الإسلامي، إلى منطقة البقاع، وتحديداً بعلبك، قد أرسل إلى والده الذي كان يسكن في بيروت، رسالة ينبئه فيها بوصول هذه الطلائع، وأنها الرايات السوداء الآتية من المشرق، والتي كانت قد أخبرت عنها روايات أهل البيت عليهم السلام، وبإن الواجب أن نأتيها ولو حبواً على الثلج، كيف؟ والحال أنها التي أتت إلينا، فكان يرى أن الواجب الشرعي يقضي بالعمل مع هذه الطلائع إذ أن هذا العمل مقدمة لمقاومة الاحتلال الصهيوني.

وهكذا كان أحد المقاومين يعمل معهم في التبليغ للإسلام، ويبين للناس أهمية هذه الثورة المباركة وأن رجالها بيننا لنؤسس معهم المجتمع المقاوم الذي يأبى الضيم، كما علمنا ذلك سيد الشهداء عليه السلام وعندما بدأ «حزب اللَّه» عمله كان هو من الأوائل الذين عملوا في صفوفه، بل من الأوائل الذين شكلوا المجموعات التأسيسية للعمل تحت لواء حزب اللَّه، فكان أول من استلم مسؤولية وحدة الثقافة والإعلام، قبل أن تتحول إلى وحدتين منفصلتين والعمل في هذه الوحدة يعني.

أولاً: أن الدورات العسكرية التي كانت تقام لمن يريد الالتحاق في صفوف حزب اللَّه، تتضمن إحدى موادها دروساً ثقافية، توجيهية ـ تربوية ـ وهذه مهمة الشيخ

لشرحه مع أنه وعده ببحث الأمر، ومن ثم صرح الشيخ بتعجب أنه سوف يبحث الأمر فارتاحت أسارير الأخ الإيراني، لأنه أخيراً استطاع اقناع الشيخ بالموضوع، ثم ذكر له الشيخ سبب تكراره لشرح القضية، ففسر له الأخ الإيراني الأمر، فضحك الشيخ لأنه لم يكن قصد هذا، فضحك الإيراني أيضاً لسوء التفاهم الودي هذا.

ثالثاً: تأمين المبلغين في مواسم التبليغ، خصوصاً في شهر رمضان وعاشوراء، وقد يقتضي الأمر منه الذهاب إلى قم لتأمين قراء العزاء بالإضافة إلى الدروس الثقافية في القرى، وللمجموعات التي تتشكل منها التعبئة الشعبية، بالإضافة إلى الدروس الثقافية التي كان يلقيها بنفسه في الدورات العسكرية وكان يستعين بطلاب «حوزة الإمام المنتظر» لتأمين هذه الدروس، وأيضاً كجزء من مهماته إقامة الاحتفالات في المناسبات الدينية أو السياسية.

هذه المهمات العديدة، التي كان المطلوب تأمينها، إما يشرف على تأمينها من خلال العاملين معه، أو يقوم هو بنفسه لتأمينها، وعلى الحالين فإن الفكرة لأي عمل تكون فكرته.

كان الناس في المراحل الأولى لعمل حزب اللّه، يفاجئون برؤية شعار هنا يحض على مقاتلة إسرائيل، وقول هناك من أقوال الإمام الخميني قدس سره أو صورة

لشرحه مع أنه وعده ببحث الأمر، ومن ثم صرح الشيخ بتعجب أنه سوف يبحث الأمر فارتاحت أسارير الأخ الإيراني، لأنه أخيراً استطاع اقناع الشيخ بالموضوع، ثم ذكر له الشيخ سبب تكراره لشرح القضية، ففسر له الأخ الإيراني الأمر، فضحك الشيخ لأنه لم يكن قصد هذا، فضحك الإيراني أيضاً لسوء التفاهم الودي هذا.

ثالثاً: تأمين المبلغين في مواسم التبليغ، خصوصاً في شهر رمضان وعاشوراء، وقد يقتضي الأمر منه الذهاب إلى قم لتأمين قراء العزاء بالإضافة إلى الدروس الثقافية في القرى، وللمجموعات التي تتشكل منها التعبئة الشعبية، بالإضافة إلى الدروس الثقافية التي كان يلقيها بنفسه في الدورات العسكرية وكان يستعين بطلاب «حوزة الإمام المنتظر» لتأمين هذه الدروس، وأيضاً كجزء من مهماته إقامة الاحتفالات في المناسبات الدينية أو السياسية.

هذه المهمات العديدة، التي كان المطلوب تأمينها، إما يشرف على تأمينها من خلال العاملين معه، أو يقوم هو بنفسه لتأمينها، وعلى الحالين فإن الفكرة لأي عمل تكون فكرته.

كان الناس في المراحل الأولى لعمل حزب اللّه، يفاجئون برؤية شعار هنا يحض على مقاتلة إسرائيل، وقول هناك من أقوال الإمام الخميني قدس سره أو صورة

مقاوم يحمل سلاحه متجهاً لمقاومة إسرائيل، أو صورة لقبة الصخرة، إلى غير ذلك من الرسومات والصور، وكانت هذه الصور والشعارات، تمتد على طول الطريق إلى بعلبك، من جهاتها العدة، وداخل بعلبك وفي الطرق إلى القرى البقاعية، وفي داخلها، كل هذا وقف خلفه شخص واحد، وهو الشيخ الشهيد كونه المسؤول الإعلامي لمنطقة بعلبك.

ومرة رأى أحد أصدقائه، في سيارته، مجموعة من علب الدهانات بألوانها المختلفة ومستلزماتها المختلفة، فسأله ما هذا؟ فكان جواب الشيخ الشهيد بكل بساطة «عدة الشغل».

وهذه المسؤولية الملقاة على عاتقه، لم تكن تعني أن يجلس خلف مكتبه، ويصدر الأوامر يميناً وشمالاً، فقد كان كثير التجوال في سيارته، وقد يستلزم الأمر قطع مسافات طويلة ليصل إلى قرية نائية، ليعطي فيها درساً، أو لم يصل إليها صوت المجاهدين والمقاومين، فيكون هو الوسيلة لذلك.

وبعد سنة على استشهاد الشيخ راغب حرب، طرح الشيخ الشهيد فكرة إقامة معرض للمقاومة الإسلامية، باسم «معرض الشيخ راغب حرب»، وبدأ العمل على تنفيذ هذه الفكرة. واستعان ببعض المعتقلين السابقين في السجون الإسرائيلية، للقيام ببعض الأشغال اليدوية

وتضمن المعرض، صور بعض الشهداء، وصور بعض المجازر التي ارتكبها العدو الصهيوني، وكانت أيضاً هي المرة الأولى التي تعرض فيها ثياب الشيخ راغب حرب، والتي كان يرتديها أثناء اغتياله وهي ملطخة بدمائه الطاهرة، وأقيم المعرض في بهو قلعة بعلبك، الذي يمتد على مسافة ٣٠٠ متر وقد كان مليئاً بالمعروضات، ولاقى المعرض اقبالاً شديداً، ولم يقتصر حضوره على أهالي منطقة البقاع بل شمل حضوره من المناطق اللبنانية كافة، فهو كان المعرض المركزي الأول للمقاومة وقد مُدّد المعرض لمدة أسبوعين، وكان الشيخ الشهيد قد تلقى تنويهاً من شورى المنطقة وخاصة من الشهيد السيد عباس الموسوي، على فكرة المعرض ونجاحه الباهر هذا.

في صباح أحد أيام بعلبك الهادئة والصافية، خرج الشيخ الشهيد كعادته إلى عمله إلا أنَّ أمراً هذه المرة أثار استغراب أحد أصدقائه المقربين، فقد كانت ثيابه ملطخة بالطين الأبيض، سأله هذا الصديق، ما هذا الذي على ثيابك؟ فقال الشيخ الشهيد، ليلة أمس جاءتنا شاحنة محملة بالطحين لتوزيعها على المحتاجين، فبقيت الليل مستيقظاً لاحصاء أسماء العوائل المحتاجة، وفي الصباح الباكر، بعد صلاة الصبح، ذهبت لتوزيع أكياس الطحين، وكنت اضطر أحياناً لحمل بعض الأكياس. فقال هذا الصديق أنت يا شيخ علي؟

فقال له نعم وما المشكلة في ذلك؟ قالها وقد بدا على محياه الفرح والسرور.

وما لا يعلمه أحد غير هذا الصديق المقرب، أن عملية توزيع الأموال والحقوق الشرعية للفقراء والمحتاجين كان يقوم بها الشيخ الشهيد إما في الصباح الباكر أو في الليل، وكأنه كان يريد أن يتمثل سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام.

وما لا يعلمه أحد آخر غير هذا الصديق المقرب، أن الشيخ الشهيد عندما كانت تأتيه الأموال والحقوق الشرعية، لتوزيعها على المحتاجين، لم يكن يبقي منها قرشاً واحداً لنفسه، مكتفياً بما كان يأخذه من راتب زهيد من الحوزة، مع أن أوضاعه المادية لم تكن على ما يرام، وهذا يعني أن العمل أو المسؤولية، لم تكن عند الشيخ الشهيد وسيلة للكسب المادي بل هو العمل في سبيل اللَّه ونيل رضوانه، وما دام أن الأجر والثواب هو الجنة ومجاورة رب رؤوف، فأي أجر آخر لن تكون له أية قيمة.

المسيرات التي كانت جزءاً من مهماته، والتي كانت تنظم في يوم القدس، واليوم العاشر من محرم من كل عام، كان التحضير لها يبدأ قبل شهر من موعدها المقرر، ولم تكن مهمته تنتهي عند التحضير لها، بل كان يوم المسيرة يوماً حافلاً، يوزع المهمات، ويرتب الصفوف، ينشد

الشعارات الحماسية، رافعاً قبضته السمراء، الملونة بلون الأرض التي أحبها، فكانت صورته، وهو ذو العمّة البيضاء تلهب المشاعر وتثير الحماس في القلوب والنفوس.

وفي اليوم العاشر، كان يلطم ويقرأ الندبيات بصوته الجهوري الحزين.

ولا بد من الإشارة أخيراً إلى أن المدّة التي قضاها الشيخ الشهيد في بعلبك طالباً في حوزة الإمام المنتظرﷺ تتلمذ فيها ـ بالإضافة إلى الشهيد السيد عباس الموسوي ـ على يد سماحة الشيخ محمد يزبك حيث أكمل مرحلة السطوح.

ساحة التبليغ

لم يكن العمل التبليغي ليتحدّد ضمن حدود معينة، ولم تكن ساحة العمل التبليغي واحدة لدى الشيخ الشهيد، ب٧ل إن ساحة العمل التبليغي، هي كل زمان ومكان يسمحان بطرح قضايا الإسلام ومفاهيمه وحتى أحكامه الشرعية، ما دام أن الهدف من التبليغ هو ايصال الإسلام ومحاولة فهم الإسلام، الفهم الحقيقي والأصيل.

وما دام أن الشيخ الشهيد هو أحد أبناء الحوزة العلمية التي انتسب إليها، فإن الحوزة هي المنطلق الأول

لهذا العمل التبليغي. وهذا ما تكرس في فكر الشهيد وعقله وروحه، من خلال ما زرعه السيد عباس قدس سره في هذا الفكر وفي هذه الروح، ومن خلال ما مارسه السيد الشهيد على صعيد العمل التبليغي.

فقد رأى السيد الشهيد أن المهمة الأولى والأساسية للحوزة العلمية هي التبليغ بالإسلام لأهله والمتعطشين لمنهله العذب ولذا فإن الشهيد السيد عباس شكل وفداً من طلبة الحوزة العلمية، ممن وصلوا إلى مراحل متقدمة في الدراسة، ليقوموا بمهمة العمل التبليغي في منطقة الهرمل تحديداً وفي شهر رمضان خصوصاً، وكان الشيخ الشهيد في عداد هذا الوفد، وكانت مهمته تقضي بأن يكون مبلغاً في منطقة «مرجحين» التي يسكنها آل ناصر الدين وآل علّو وهي جزء من أعالي الجرود في الهرمل، كانت طريقها في ذلك الوقت، غير معبدّة ومليئة بالأحجار والصخور، ومع ذلك، فإن الشيخ الشهيد سلك تلك الطريق بسيارته الصغيرة «رينو ١٦»، فلم ينثنِ، ولم يتراجع عن مهمته تلك بسبب وعورة الطريق، وسكن وقتها في منزل يفتقر إلى الحد الأدنى من الخدمات الصحية، فقد كان يضطر لاستعمال أبريق البلاستك للوضوء أو التنظيف، ولم يكن في تلك القرية مسجد، ولا بد من رفع الأذان لإعلام الناس بحلول وقت الافطار أو وقت الصلاة، فكان يقوم، إما هو

أو مرافقه برفع الأذان من دون استعمال مكبِّر للصوت لعدم توافره من خلال الوقوف إما على سطح المنزل أو الشرفة، كون المنزل مشرفاً على بقية المنازل الأخرى القليلة العدد، مما يساعد على وصول الصوت إلى حدود معينة.

وكانت تتم الجلسة الثقافية ـ التبليغية، كل ليلة في بيت بعد تناول طعام الإفطار يتحدث فيها الشيخ الشهيد عن معالم الإسلام الفكرية والسياسية والاجتماعية، ولا مانع من أن يتخلل السهرة حديث عن شؤون أهل القرية ومشاكلهم وحاجاتهم، فإن هذا يشعرهم بأن العالم الديني ليس بعيداً عنهم وعن همومهم، وإن لم يكن يملك المقدرة والنفوذ لحل مشاكلهم، فإن هذا الحديث كاف للتنفيس عن كربهم وغمهم.

لم يكن العمل التبليغي يقتصر على مكان ما فبعد تجربة العمل التبليغي في «مرجحين» كانت الفرصة سانحة للعمل في مكان آخر في تلك الآونة مكان تجمع أهالي منطقة النبعة وجوارها الذين هُجّروا منها بسبب الحرب الأهلية التي عصفت بلبنان، وكان أهل الشهيد يسكنون فيها بعد أن هُجّروا من النبعة، وكان يتردد إلى تلك المنقطة لزيارة أهله.

ثم وجد أن تلك المنطقة مكان خصب للعمل

التبليغي، فكان يزور الناس الذين يعرفهم مستفيداً من هذه الزيارات في التبليغ، ثم وجد أن لا بد من مكان يجمع الناس فيه، خصوصاً في المناسبات الإسلامية الخاصة كأيام عاشوراء وشهر رمضان، وهكذا فقد كان أول مصلّى يقام في تلك المنطقة على يدي الشيخ الشهيد في ملجأ إحدى البنايات، فقد كان الناس يجتمعون إما لاقامة الصلاة أو للاستماع إلى المحاضرات أو لإقامة مجالس عاشوراء في وقت كانت تلك المنطقة تحت سيطرة الأحزاب العلمانية والقوى الفلسطينية، وكانت الحالة الإسلامية ضعيفة جداً، وقد تعرض لمضايقات كثيرة من تلك القوى والأحزاب بسبب معرفتهم بأنه يؤثر على وجودهم ونفوذهم، خصوصاً أن تلك القوى كانت تحارب كل عالم دين، منفتح على هموم الناس ومشاكلهم، متحرك مثقف واع ليس حبيس بيته، إلى أن جاء الاجتياح الصهيوني للبنان.

ولتلك المنطقة أيضاً التي عانت الكثير من هذا الاجتياح من خلال القصف اليومي والعبوات الناسفة الضخمة، وكانت هذه هي المرحلة الأولى من العمل التبليغي للشيخ الشهيد في تلك المنطقة.

المرحلة الثانية كانت بعد بزوغ فجر حزب اللّه وانخراط الشيخ الشهيد في صفوفه. وهذه المرحلة لم تكن تختلف عن سابقتها من حيث المعاناة. حيث لم يزل

حزب اللَّه طري العود. ولم تكن الشريحة الواسعة من الناس تفهم حقيقته وأهدافه وبماذا يختلف عن غيره من الأحزاب الأخرى؟ هل هو حزب لبناني أو حزب إيراني بثوب لبناني؟ أسئلة كثيرة كانت تدور في أذهان الناس، وبعضهم كان يعادي هذا الحزب بسبب طروحاته الإسلامية المحضة، لأن هذا البعض أساساً يعادي الإسلام، فكانت المهمة شاقة، لكن لا بد من توضيح الأمور. مع ذلك كان هناك من انخرط في صفوف هذا الحزب من الناس، وبدل المصلى الواحد، أصبح هناك ثلاثة مصليات يتردد عليها الناس خصوصاً جيل الشباب الذين وجدوا في هذا الحزب ضالتهم، ووجدوا فيه الخلاص من الضياع والظلم والقهر، وهؤلاء أيضاً لا بد من الأخذ بيدهم والعمل معهم وتثقيفهم، فكان يتردد على أحد هذه المصليات خصوصاً في شهر رمضان بين الأعوام ١٩٨٤م و١٩٨٦.

ولم تكن زياراته المتكررة لأهله ولأقاربه، في بيروت، تخلو من تثقيف، أو حديث عن مفهوم إسلامي، أو حكم شرعي، أما زياراته لأقاربه فكانت من منطلق «صلة الرحم» عندما كان يسكن في بعلبك، كان يحرص على زيارة أرحامه من أعمامه وخالاته القاطنين في بيروت إذا كان الوقت الذي يريد أن يقضيه في بيروت يسمح بذلك.

وعندما توفي أحد أعمامه، وكان في زيارة لقريته

خربة سلم، حرص على أن يتواجد طوال مدة العزاء، وكانت فرصة استغلها ليجلس ليلاً في هذه المدة مع أهله وأقاربه مبيناً لهم بعض المفاهيم الإسلامية والأحكام الشرعية. مذكراً لهم بالموت «فلكل مقام مقال» وأثمرت هذه الجلسات المتواصلة فالتزمت بنات عمه المتوفى بالحجاب الشرعي، تأثراً بالمصاب الجلل الذي ألم بهن بفقدهن والدهن، وتأثراً أيضاً بما بينه لهن الشيخ الشهيد من أهمية الحجاب بوصفه ستراً للفتاة المسلمة.

منبر الجمعة

وامتدت ساحة العمل التبليغي والجهادي لتشمل صلاة الجمعة، هذه الصلاة العبادية السياسية، كانت مساحة للدفاع بالكلمة والموقف عن قضايا المسلمين، هذه القضايا التي كان الشيخ الشهيد يوليها الأهمية الخاصة، فكان منبر الجمعة المنبر المناسب للذود عن هذه القضايا وتبيان موقف الإسلام المحمدي الأصيل من قضايا الساعة التي كان يعايشها الشيخ الشهيد.

كانت هذه الصلاة العبادية ـ السياسية تقام بإمامة سماحة سيد شهداء المقاومة الإسلامية السيد عباس الموسوي (رضوان اللّه عليه) حيث كان سماحة السيد الشهيد هو أول من أقام هذه الصلاة في منطقة بعلبك.

وكان الشيخ الشهيد يحل محله في أوقات لا يتمكن فيها السيد الشهيد من التواجد في بعلبك لانشغالاته الكثيرة. وتكليف السيد الشهيد للشيخ الشهيد بالحلول محله في هذه الصلاة، تعني الثقة الخاصة التي كان يوليها له. كون هذه الصلاة في خطبتها السياسية يجب أن تتضمن مواقف من القضايا التي كان يعيشها المسلمون في تلك الآونة سواءً في لنبان أم في العالم الإسلامي، خصوصاً أنّ تلك الآونة كانت حافلة بأحداث جسام كان لها الأثر الفعلي على الساحة اللبنانية، ولن تكون تلك المواقف تعبّر عن موقفٍ شخصي للشيخ الشهيد بل سوف تكون مواقف للجهة التي يمثل. عنيت ـ حزب اللّه والمقاومة الإسلامية ..

وتلك المواقف التي كان يطلقها تعبر عن وعي كامل لما يدور حوله من أحداث سواءً في لبنان أو في العالم الإسلامي، وعي للعدو الحقيقي الذي يتربص بالمسلمين الدوائر، ووعي لكيفية مواجهة العدو وأنه لا يفهم إلا لغة القوة.

ولأجل العلاقة الخاصة التي تربط الشيخ الشهيد بالسيد الشهيد وجدت أن أذكر رسالة كان السيد الشهيد قد أرسلها إلى إخوانه في بعلبك، عندما كان السيد الشهيد مرابطاً على مشارف قرية «صريفا» مشاركاً المقاومين في التصدّي للعدو الصهيوني فيما عرف في

ما بعد «بعملية الأسيرين» التي قام العدو على أثرها باجتياح مساحة واسعة من القرى العاملية وذلك في العام ١٩٨٦ ميلادية، وبسبب وجود السيد الشهيد في أرض المواجهة، كان الشيخ الشهيد إماماً بديلاً لصلاة الجمعة في بعلبك.

وفي أحد أيام الجمعة ألقى على مسامع المصلين الرسالة آنفة الذكر يقول الشيخ الشهيد في خطبته: «جاءتنا منذ قليل هذه الرسالة من إمام جمعة بعلبك سماحة العلامة المجاهد السيد عباس الموسوي، وقد أرسلها إلينا من منطقة الجهاد اليوم يقول فيها «باسمه تعالى، إلى إخواتنا المؤمنين المجاهدين في البقاع آخر أخبارنا: وضعنا جيد، والشباب وضعهم المعنوي جيد، بالنسبة إلى العمليات هناك عمليات متواصلة وبشكل مفاجىء لإسرائيل وجعلها تشعر بالإحباط».

ويضيف الشيخ الشهيد، ويضرب لنا مثلاً «في قرية صريفا حاولت إسرائيل التقدم وللمرة الثالثة، فضربها المجاهدون ضربة موجعة، وعندما وصلنا إلى القرية رأينا الحيرة القاتلة من خلال تحرك الطوافات».

يقول الشيخ الشهيد معلقاً على كلام السيد الشهيد «الله أكبر» كانت الحيرة ظاهرة بحالتها الطبيعية على وجه العدو. وإذ بهذه الحيرة تظهر في حركة الطوافات والآليات الإسرائيلية حيث جمدت آلياتهم بعيداً عن

القرية. والطوافات كانت لا تجرؤ على الاقتراب من أجواء القرية. إنما كانت تحاول تطويق البلدة وتحركات الشباب من بعيد. أما وضع أهلنا في الجنوب فهم متفاعلون مع المقاتلين.

تقول الرسالة «ترى النساء والكبار في السن مهتمين بتشجيع المقاتلين وتأمين حاجياتهم من طعام وغيره. وهناك منظر رأيته في صريفا امرأة عمرها ثمانون عاماً. كانت تقدم اللباس العسكري لأخيها».

تكمن أهمية الرسالة في ما يأتي:

١ ـ أنها تشير إلى مدى الاحترام الذي كان يكنه الشيخ الشهيد لأستاذه السيد الشهيد. فهو يعد الإمام الفعلي لجمعة بعلبك حتى في غيابه. وهذا ينبىء عن المستوى الأخلاقي الرفيع للشهيد وتواضعه أمام أستاذه وذوبان ذاته والأنا» التي في داخله أمام أستاذه، وهذه أيضاً تجتاج إلى جهاد نفس من نوع خاص.

٢ ـ إن هذه الرسالة تبين وبشكل واضح وصريح من شاهد عيان عايش الأحداث وكان في خضمها العلاقة الحقيقية التي كانت قائمة بين الناس والمقاومة، وأنها كانت علاقة تفاهم وتفاعل، وأن الشعب يحمل روح المقاومة ويفهم طبيعة العدو الصهيوني وأنه لا يفهم إلا لغة المقاومة.

٣ ـ إنها تبين الوضع الحقيقي الذي كان عليه العدو

الصهيوني، وهو وضع الإرباك والإحباط ومحاولات باءت بالفشل للتقدم. وبالمقابل شباب مجاهد، صامد، ذو معنويات، عالية أمام عدو يملك العتد والعدة في الوقت الذي كان فيه الكثيرون من أهل التنظير والمثقفين يشككون في جدوى العمل المقاوم، وفي وقت سقط فيه الكثيرون ممن حملوا راية المقاومة توقفوا في بدايات الطريق وليس في وسطه.

الايمان ثم الجهاد:

يقول الشيخ الشهيد في خطبة الجمعة:

«مرحلة الجهاد متأخرة عن الإيمان بالله وبالرسول، فبعد الإيمان يمكنك أيها المسلم أن تنطلق للجهاد، وها هو الجهاد قد أصبح اليوم موجوداً في جبل عامل ويتمثل بشباب المقاومة الإسلامية.

١٩٨٦/٢/٢١

الإصرار على إسلامية المقاومة

يقول الشيخ الشهيد في الخطبة السابقة نفسها:

«نؤكد على إسلاميتها لأنها أثبتت على الأرض أن غير المسلم لا يقاتل كما يقاتل المجاهدون المؤمنون المسلمون اليوم في جنوب لبنان، وفي كل القرى التي دخلتها إسرائيل، يواجهون العدو انطلاقاً من إيمانهم بالله وبرسوله، وانطلاقاً من الاعتماد على الله»، ويضيف

الشيخ الشهيد في نفس الخطبة مبيناً حقيقة الجهاد الذي يقوم به شباب المقاومة الإسلامية فيقول: «شبابنا اليوم في الجنوب يتحملون عن كل العالم الإسلامي والعربي أولئك الذين يدعون أنهم يقاتلون إسرائيل، يتحمل شبابنا المسلم ـ شباب المقاومة الإسلامية عن الجميع الدفاع عن الأرض الطاهرة التي ارتوت وترتوي من دماء الشباب المسلم».

ليس الجهاد عسكرياً فقط

«شبابنا في الجنوب المقاوم يجاهدون، وقد نتصور بأننا نحن هنا متقاعسون، فهذا غير صحيح. نحن لسنا متقاعسين، لكن لكل إنسان في هذه الحياة دوره.. شبابنا يقدمون أنفسهم، فلنقدم نحن هنا أموالنا وذخيرتنا وعتادنا ليضحوا في سبيل الله وأن نبقى على استعداد».

الخطبة السابقة

ونبشركم بأن أخوتكم الذين ذهبوا في الساعة الثالثة من هذه الليلة، دخلوا المعركة في بعض القرى الأمامية، وعلينا أن نبقي هذا الاستعداد الداخلي في نفوسنا لنذهب، ونتمنى أن يكون دورنا قريباً لنقدم أنفسنا قرابين، وليختلط دمنا مع دم إخوتنا في الجنوب، ولنذهب إلى الله من هذه الدنيا الفانية».

الخطبة السابقة

قلق إسرائيل

إن المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان قد تنامت وقد أقلقت راحة بني إسرائيل.

١٩٨٦/٧/٢٥

الحفاظ على المفاهيم الإسلامية

«نسأل الله سبحانه وتعالى أن نحافظ على مفاهيمنا الإسلامية كما هي، ونلتزم بها كما أرادها الله، لا كما أراد الاستعمار والاستكبار، ونأخذها على حقيقتها الإسلامية، لنستطيع أن نتقي الله بعد أن نعمل بها».

١٩٨٦/٨/٢٣

«العاقل هو من يعمل بطاعة الله سبحانه وتعالى، وهدفه هو رضى الله سبحانه وتعالى».

١٩٨٦/٨/٢٣

«إن أرادو أن يقضوا على الحالة السياسية الموجودة لدى المسلمين فعليهم أن يقضوا على أحكام الإسلام، وعليهم أن يقضوا على الإسلام، ولن يستطيعوا».

١٩٨٦/٨/٢٣

مفهوم الحج السياسي

الحج له محتوى سياسي مهم لاجتماع المسلمين في كل المناطق فيتدارسون ما يوجد في بلادهم، فيفهم الإنسان المسلم ما في بلد المسلم الآخر، ليعيشوا أمة واحدة بهدف واحد. ١٩٨٦/٨/١٦

رحلة العودة

كما الطيور المهاجرة تترك أوطانها وأوكارها بحثاً عن الماء والكلأ والدفء ثم تعود إلى موطنها الأصلي، فإن الشيخ الشهيد هاجر من موطنه بحثاً عن العلم والمعرفة وعاد إلى قريته التي أحب، والتي قضى بعضاً من طفولته في ربوعها، القرية التي اقترن اسمها باسم المقاومين والمجاهدين، القرية التي نالها بعض من معاناة الاحتلال والأسر، القرية التي عانت ما عانت أيضاً حتى بعد الانسحاب الصهيوني إلى التلال المشرفة على القرية، بسبب انتمائها للمقاومة واحتضانها لهم.

كان العدو الصهيوني قد انسحب من أجزاء واسعة من جبل عامل والبقاع الغربي في العام ١٩٨٥م، وكان الشيخ الشهيد ما زال في بعلبك، فلم تكن ظروف الاحتلال تسمح له بالذهاب إلى قريته «خربة سلم» أما وقد حصل الانسحاب فالفرصة أصبحت مواتية ولو للزيارة. وهكذا كان، فكان يقوم بزيارة قريته بين الفينة والفينة، وأحياناً تكون الزيارة للعمل والإطلاع على بعض الشؤون التي لها علاقة بطبيعة عمله، حيث كان ما زال مسؤولاً للإعلام والثقافة وتكررت زياراته حتى العام ١٩٨٧.

وكان القرار أن يستقر في قريته ليكمل مسيرة العمل الجهادي، ويكون قريباً من المقاومين ، ومن جهادهم ومن معاناتهم وقريباً أيضاً من العدو الذي طالما حذّر الناس

منه ومن ألاعيبه ومؤامراته التي كانت ـ وما زالت ـ تستهدف هذا البلد المستضعف، والذي أصبح قوياً بمقاومته. عاد إلى قريته ليكون مسؤولاً عن قطاع بنت جبيل، وبما أنه لم يكن يملك البيت الذي يؤيه، فقد أعاره أحد أقاربه بيتاً مؤلفاً من غرفتين صغيرتين كان قد بناهما لوالدته، سكنهما الشيخ الشهيد وعائلته حتى استشهاده والمدة التي قضاها في قريته مع أنها كانت قصيرة إلا أنها كانت حافلة مليئة بالنشاط والعمل والحيوية كما هي شخصية الشيخ الشهيد، يشارك أهل قريته أفراحهم وأتراحهم، يزور الأقارب والمعارف والأصدقاء، يحاضر في المناسبات يزور المقاومين في ثغورهم ومحاورهم، يلقي عليهم ما يثبت قلوبهم يصلي بهم جماعة، يجعل منهم المثل الذي يحتذى، لمن يجالسهم من الناس الآخرين، يقول: «شتان بين من يسهر الليالي بما لا ينفع وبين من يسهر الليالي مرابطاً على الثغور ومراقباً للعدو أو يخطط واضعاً أمامه الخريطة التي تحدد مواقع العدو وكيف يهاجمها».

يشارك في تشييع شهداء المقاومة الذين ينعم عليهم الله تعالى بالجهاد والشهادة، ويصلي صلاة الجنازة على بعضهم مستلهماً منهم ومن شهادتهم القوة والعزيمة.

يدافع عن المقاومة والمقاومين أمام من يشكك في جدوى المقاومة، في وقت كان المشككون كثر، وكانت

المقاومة تمر في مراحل صعبة على صعيد الداخل، وفي وقت كانت إسرائيل تمارس سياسة الارهاب، من خلال قصف المدنيين خصوصاً إذا تعرضت لهجوم ناجح من المقاومين، وكانت تهدف من خلال ذلك إلى إيجاد شرخ وهوة بين الأهالي والمقاومة فتخسر المقاومة بذلك السند والدعم الأساسي، ومن المؤسف أن تجد هذه السياسة في ذلك الوقت بعض الآذان الصاغية ممن ضعفت نفوسهم فكانت المهمة صعبة فمن جهة المطلوب مقاومة الاحتلال مع قلة العدو والعدة، ومن جهة المطلوب تهدئة خواطر الناس ومساعدتهم نفسياً ومعنوياً ليصبروا ويتحملوا المعاناة.

فإذا كانت المهمة الأولى هي وظيفة المقاومة والمقاومين وهي ليست بالمهمة السهلة، فإن المهمة الثانية كانت وظيفة الشيخ الشهيد وأمثاله ممن فهموا ببصيرتهم وقوة همتهم حقيقة الموقف وأن إسرائيل لا تفهم إلا لغة المقاومة، وهذه الوظيفة لا تقل أهمية وصعوبة عن المهمة الأولى، إذ كيف تقنع من يعاني ويتألم ويخسر بيته وما له وبعضاً من فلذات كبده أن هذه المعاناة وهذا التألم لن يذهب سدى؟

فإن هذا الأمر يحتاج إلى بصيرة وهمة عالية وثقة تامة بوعد الله ولولا هذه المعاناة وهذا الصبر الذي تحمله هذا الشعب والمقاومون أيضاً لما حصل الانتصار

على العدو الصهيوني بإجباره على الانسحاب في الخامس والعشرين من أيار من العام ٢٠٠٠.

فإن هذا الانتصار سوف يبقى في ذاكرة التاريخ، وفي ذاكرة الشعب اللبناني والشعوب العربية. وسيبقى في الذاكرة، أيضاً، المقاومون والشهداء الذين قدموا أنفسهم قرابين على مذبح الحرية والتحرير والمقاومة، خصوصاً الشهداء الأوائل الذين أرسوا بجهادهم وصبرهم قواعد هذه المقاومة، ورووا شجرتها بدمائهم الطاهرة وعرق جهادهم ونضالهم لتورق هذه الشجرة أوراقاً خضراء عطرة، تدخل كل بيت فلا يصيبها اليباس ما دام يوجد في كل بيت من يحمل روح المقاومة، ومن هو على استعداد ليقدم الغالي والنفيس في سبيل عزة وكرامة هذه الأمة، لقد أصبحت الشعوب أكثر قناعة بجدوى المقاومة وأهميتها بعد أن ذاقت ورأت انتصار هذه المقاومة.

لقد كان على علاقة مميزة مع بعض رجال المقاومة الإسلامية، الذين كانوا يرابطون على محاورها في البقاع الغربي، وكان هؤلاء الرجال عندما يعودون إلى بعلبك في إجازة، كان أول إنسان يسألون عنه هو الشهيد الشيخ علي، فإن أفضل أوقاتهم في هذه الإجازة تلك التي يجالسون فيها الشيخ الشهيد وكانوا دائماً يعبرون عن إعجابهم وحبهم له، وأكثرهم قد أصبح في عداد الشهداء.

رحم الله الشيخ الشهيد، الذي كان من قافلة الشهداء الأوائل أولئك.

رحلة العروج

في الأول من محرم الحرام من العام ١٤٠٩ للهجرة[١] كان العروج إلى جنة الخلد والرضوان.

في الأول من محرم كان الموعد للالتحاق بركب الشهداء.

في الأول من محرم كان الموعد للالتحاق بقافلة سيد الشهداء «عليه السلام»، وكأن الرصاصة التي استقرت في الرأس من بندقية آثمة، علامة على أن الشهيد هو جزء من الركب الحسيني الذي ما زال يحمل معه الشهداء، ولم يكن الشيخ الشهيد ولن يكون آخرهم وكأن الاستشهاد الذي حصل قرب مسجد بئر السلاسل في قرية خربة سلم، يريد أن يقول أن من تفتحت آفاقه الإيمانية في مسجد «أسرة التآخي» في النبعة ليس بعيداً عليه أن يكون شهيداً قرب هذا المسجد، هذا المسجد الذي كان يسكن قربه عندما استقر به المقام في قريته خربة سلم، كان يحرص على حسن جواره من خلال الصلاة فيه عندما يكون متواجداً في بيته.

(١) الموافق ليوم السبت ١٣/آب/١٩٨٨ للميلاد الساعة الخامسة عصراً.

ما هي العلامة بين البداية والنهاية؟

البداية الإيمانية في المسجد، ونهاية الجهاد والعمل استشهاد قرب المسجد.

هل هذا أيضاً علامة على أن الشهيد هو فعلاً من الموالين لأمير المؤمنين عليه السلام.

ألم تكن بداية الأمير عليه السلام في المسجد وجرح في المسجد ليستشهد بسبب هذا الجرح، أليس من المنطقي أن يواسي الموالي إمامه؟ يا لها من مواساة.

الإصابة في الرأس، وقرب المسجد، وبأسلوب همجي يعبّر عن أقصى درجات المظلومية. قتل بغير وجه حق.

كانت رياح الفتنة قد عصفت على جبل عامل أرض الجهاد والمقاومة.

وارتأت شرذمة من الموتورين أن تؤجج نار هذه الفتنة، وأن تبقي نارها مستعرة، فكمنت للشيخ الشهيد في منطقة بئر السلاسل وهو في طريقه لقراءة الفاتحة على قبر أخيه الأصغر الذي كان قد توفي قبل يومين[1].

وكان الشيخ الشهيد برفقة والدته وأخواته وإخوته وبعض أصهاره وعمه، عندما اعترضتهم مجموعة مسلحة بأسلوب تظهر عليه بوضوح أن أمراً قد بُيّت بليل. ومنعتهم من إكمال طريقهم ولم تنفع جميع

(١) ويذكر أن والده كان قد توفي قبل ثمانية أشهر بعد صراع مرير مع المرض.

المحاولات التي بذلت لإقناعهم، وأصروا على أنهم يريدون أخذ أخيه الذي بزعمهم أنه قد تطاول عليهم، والشيخ الشهيد قابع في سيارته وراء المقود لم يحرك ساكناً وكأنه كان يعلم أنه المقصود بهذه الاستفزازات، فقد كان مطارداً لمدة شهرين ثم يتوسط له أحدهم بأنه لا يريد أن ينالك أحد بسوء فعاد إلى منزله، ومن ثم يتوفى أخوه الأصغر بحادث قضاء وقدراً.

ويقوم بمهمة العزاء في منزله في بئر السلاسل، والعادة قائمة أن ينزل أهل العزاء عصر كل يوم لقراءة الفاتحة.

عندما رضخ الجميع لمطلب هذه المجموعة وسلموا أخاه لهم، ثم أمروا السيارات المتوقفة بالتحرك ومن جملتها سيارة الشيخ حيث كانت آخر سيارة.

فوجىء الجميع بوابل من الرصاص ينهمر عليهم بأسلوب همجي من دون معرفة الأسباب الحقيقية وراء ذلك بعد إصابته في رأسه الأمر الذي أسفر عن استشهاد الشيخ علي وإصابة بعض من كان برفقته في سيارته ومن ضمنهم والدته بالشظايا والرصاص.

وكان الشيخ الشهيد بعد إصابته في الرأس وهو في حالة النزع يردد بشكل مستمر عبارة «لا إله إلا الله»، كما ذكر من نقله إلى المستشفى حيث فاضت روحه الطاهرة في الطريق إليها.

كانت الشهادة حلمه، بل طموحه الذي كان يسعى إليه، كان دائم الحديث عن الشهادة، ويحدث زوجته عن هذا الأمر، يومها بأن ترعى أبناءه إن هو رزق الشهادة، وعندما رزقه الله تعالى هذه الأمنية، كان أولاده صغار السن أصغرهم لم يبلغ سنواته الأربع، وأكبرهم لم يبلغ سنواته العشر.

لم يصدق العارفون والأصدقاء خبر استشهاد الشيخ علي.

لقد كان وقعه عليهم وقوع الصاعقة، أحد أصدقائه المقربين كان يجلس بقرب سيد شهداء المقاومة السيد عباس. وهما يستمعان إلى مجلس عزاء حسيني في الليلة الأولى من ليالي محرم الحرام، عندما قرأ الورقة التي أعطيت له ـ فهو مسؤول منطقة البقاع في حزب الله ـ وفيها خبر مقتله ـ استشهاده ـ سأل الذي أعطاه الورقة أن يتأكد من صحتها، وعندما أكد له ذلك لم يتمالك نفسه عن البكاء، وحاول أن يخفي الخبر عن الشهيد السيد عباس إلى ما بعد الكلمة المقرر أن يلقيها، إلا أنه سرعان ما أخبره بعد أن استخار الله تعالى وكانت الاستخارة أمر، عندما أخبره تغير لون وجهه، وصعد المنبر وتكلم وعندما أراد أخبار الحاضرين بخبر استشهاد الشيخ علي لم يتمالك نفسه عن البكاء بعد إخبارهم ونزل المنبر، وكانت هي المرة الأولى التي

تكون فيها كلمة السيد الشهيد مختصرة لشدة تأثره بخبر استشهاده.

كانت علاقته بالشهيد السيد عباس، قد امتدت عبر أكثر سنوات ومراحل عمره ولم تكن مجرد علاقة تلميذ بأستاذه، بل كانت علاقة تحمل في طياتها الكثير من الحب والمودة المتبادلة والثقة المطلقة والمثال الأعلى، لقد كان الشهيد الشيخ علي على ثقة تامة بكل ما يفعله ويقوله السيد الشهيد. وكان مثله الأعلى، لذلك لم يكن يتردد في كل عمل يطلبه منه السيد الشهيد، بل كان يعتبر ذلك تكليفاً خصوصاً في مرحلة العمل في إطار حزب الله.

وهكذا طويت صفحة من صفحات الشهداء السعداء، الذين ضحوا وجاهدوا وعانوا وتألموا وأعطونا أفضل ما لديهم ألا وهو دمهم لنحيا وتحيا هذه الأرض الطيبة. هنئياً لمن ضحى، هنيئاً لكم في عرشكم هنيئاً لكم مقامكم في جنات النعيم، لولاكم لما كان للإسلام وجود.

وتبقى الحسرة على رؤيتكم، والدمع على فراقكم، واللوعة على الفراغ الذي تركتموه بين من عرفكم وعاش معكم.

سلام لك أيها الشهيد الشيخ لن ننساك ما حيينا

لن ننسى ابتسامتك، وتواضعك، وخفة دمك، لن ننسى غيرتك وحميتك.

سلام لجميع الشهداء والأبرار.

سلام وألف تحية لسيد شهداء المقاومة الإسلامية السيد عباس الموسوي.

والله من وراء القصد

٦/آب/٢٠٠٢م

٢٦/جمادي الأولى/١٤٢٣هـ